

الروح الانساني

الاستاذ عبد الصمد شرف الدين - جده

ان الاستاذ الفاضل عبدالصمد شرف الدين مغرم بنشر مؤلفات العلامة ابن تيمية الحراني رحمه الله، وهو صاحب المطبعة القيمة المعروفة، بيمبائي، (الهند) وخلال زيارتي المملكة العربية السعودية صادفته بالمدينة المنورة في الجامعة الاسلامية، وطلبت منه ان يعد لنا مقالا عن الروح، فاستجاب طلبى وارسل الينا هذا المقال .

و كما قال الشاه ولي الله في كتابه حجة الله البالغة في باب حقيقة الروح مفسرا الآية: ”ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا. ان هذه الآية ليست نصا في انه لايعلم احد من الامة المرحومة حقيقة الروح كما يظن، وليس كل ما سكت عنه الشرع لا يمكن معرفته البتة، بل كثيرا ما يسكت عنه لاجل انه معرفة دقيقة لا يصلح لتعاطيها جمهور الأمة وان امكن لبعضهم .“، فالبحث في هذا الموضوع يدعو الاكفاء .

ان معظم هذا المقال مبنى على اساس كتاب الروح لابن القيم الجوزية وله قيمته، غير ان هناك فجوة طويلة بيننا و بين هذه المحاولة لابن القيم، و في خلال هذه المدة تقدم العلم تقدسا ملموسا، واكتشفت العلوم حقائق كثيرة، فالرجاء من العلماء المعاصرين الذين لديهم خبرة في هذا المجال ان يعدوا لنا بحثا علميا حول هذا

الموضوع الهام، حتى يتجلى لنا خبايا الزوايا من هذا الموضوع، ونفهمه الكلمة بجميع ما فيها من المعاني الكامنة. نحن مستعدون لنشراى مقال علمى او بحث جديد حول هذا الموضوع، يتكرم به علينا اختصاصى بهذا المجال .

— التحرير

عظم شان روح الانسان :

سما لا ريب فيه أن "الانسان"، مركب من الجسم والروح (١) تركيباً بديعاً محكماً، كما قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) وسما لاشك فيه أن الروح هى العاكمة فى الانسان، وأن الجسد تابع لها، كما قال قائل -

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته

فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فما هذا الروح وما تعريفها؟ قد وصف الروح العلماء المحققون فقالوا: إن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس . وهو جسم نورانى علوى، خفيف، حى، متحرك، يتفد فى جوهر الأعضاء و يسرى فيها سريان الماء فى الورد، وسريان الدهن فى الزيتون، والنار فى الفحم . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية . و إذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها و خرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل الى عالم الأرواح .

والحاصل أن روح الانسان جوهر علوى مخلوق من مادة علوية . و قد ثبت في الحديث الصحيح عن ابن مسعود مرفوعاً أن الله وكل بالأرحام ملكا ينفخ الروح في الجنين، كما وكل ملك الموت لقبض أرواح بنى آدم . ولفظه : ”ان احدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغاً مثل ذلك . ثم يبعث الله ملكا، فيؤمر بأربعة - برزقه وأجله و شقى أو سعيد - زاد في رواية ”و عمله، - ثم ينفخ فيه الروح . . . الحديث، (٢)

حقيقته روح الانسان :

ففي هذا الحديث بيان صريح عن منشأ الأرواح في بنى آدم، وأنها تحدث بنفخة الملك في كل جنين اذا بلغ أربعة أشهر بعد قرار النطفة في الرحم . ويصدق القرآن في غير موضع كقوله تعالى ”ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار سكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغاً فخلقنا المضغ عظاما فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر، - الآية (٣) . ففسر قوله تعالى (ثم أنشأناه خلقا آخر) أى، بنفخ الروح فيه .

فثبت أن الله يرسل الملك الى الجنين، فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة . فتكون نفخة الملك هي سبب حصول الروح وحدوثها للجنين . كما كان الوطاء والأنزال سبب تكوين جسمه، والغذاء سبب نموه . فمادة الروح من نفخة الملك، ومادة الجسم من صب الماء في الرحم . فهذه مادة سماوية، وهذه مادة أرضية .

ودل هذا على كون روح الانسان مخلوقة و ليست بقديمة أزلية . فانها تحدث بنفخة الملك، والملائكة بأنفسهم مخلوقون قبل خلق الانسان و روحه، و إنهم أرواح مستغنية عن أجساد تقوم بها، خلقهم الله من النور، كما خلق الانسان من الطين، والجن من النار

كون الروح مخلوقه :

و فيه رد بالغ على من زعم أن روح الانسان نفخة من روح الله العظيم .
وقد تكرر مثل هذا الكلام في تفسير الشهيد سيد قطب - رحمه الله، وهي زلة
من قلم هذا النابغة المفسر الفذ الفريد غفرها الله له - زلة وقع فيها بعض
جهابذة الكتاب من قبله .

فقال - رحمه الله - مثلاً في أثناء كلامه تحت تفسير قوله : (يا أيها
الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك)

”ان هذا الخطاب : ”يا أيها الانسان“، ينادى في الانسان اكرم ما في
كيانه، وهو ”إنسانيته“، التي بها تميز عن سائر الاحياء، وارتفع إلى أكرم مكان،
و تجلى فيها إكرام الله له، وكرمه الفائض عليه . . . إلى أن قال :

”هذه هي إحدى خصائص الانسان المميزة . . وهي مع هذا ليست
أكبر خصائصه، و ليست أعلى سمياته . فهنالك ذلك القبس العجيب من روح
الله . هنالك الروح الانسانية الخاص، الذي يصل هذا الكائن بجمال الوجود،
و جمال خالق الوجود، و يمنحه تلك اللحظات المجنحة الوضيئه من الاتصال
بالمطلق الذي ليس له حدود، بعد الاتصال بوضعات الجمال في هذا الوجود . .
الخ، (٤)

فلو كان روح الانسان ”ذلك القبس العجيب من روح الله“، - أي من ذات
الله أو من صفاته و كلها قديمة - لم تعد روحه مخلوقه بل صارت قديمة أزلية .

قصة خلق آدم و روحه :

و أشرف الأرواح روح آدم، وهي مخلوقة فكيف بأرواح بنييه ؟ فان قال قائل :
كيف تكون روح آدم مخلوقة وقد أضافها الله الى نفسه . فقال ”و إذ قال ربك للملائكة

إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته و نفخت فيه من روعي
 فقعوا له ساجدين، (٥) - فقوله (و نفخت فيه من روعي) صريح في كونها من روح
 الله .

و هذا هو مأزق سزلق و سزلة قدم وقع فيه من وقع . فقال في "الظلال"،
 همنا : "ومن ثم نص ابتداءه على خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون، و نفخه
 فيه من روحه المشرق الكريم . . . الخ،، و قال ايضاً : "فاما خلق الانسان من
 صلصال من حمأ مسنون و النفخ فيه من روح الله فكيف كان ؟ فهو كذلك مالا
 ندري كيفيته . . الخ،، (٦)

و قال في سورة ص : " . . . هذا المعزى يبرز في تقدير قيمة هذا الانسان
 المخلوق من الطين بعد ما ارتفع عن أصله بتلك النفخة من روح الله العظيم، (٧)
 والجواب عن هذه الروح المضافة إلى الرب في سورة الحجر، و سورة ص،
 و سورة السجدة، فهي روح مخلوقة اضاقتها إلى نفسه إضافة تخصيص و تشریف .

المضاف الى الله نوعان :

فان المضاف إلى الله نوعان . الأول اضافة صفة إلى الموصوف بها، كالعلم
 والقدرة، والارادة و الكلام، والحياة . فعلمه تعالى، و كلامه، و ارادته، و قدرته،
 و حياته، صفات له غير مخلوقة، و كذلك وجهه و يده سبحانه . والثاني إضافة
 أعيان منصفة عنه، كالبيت والناقة، والعبد، والرسول، والروح . فهذه إضافة مخلوق
 إلى خالقه و مصنوع إلى صانعه، لكنها اضافة تقتضي تخصيصاً و تشريفاً يتميز به
 المضاف عن غيره، كبيت الله و ان كانت البيوت كلها ملكاً له، و كذلك ناقة الله
 و النوق كلها ملكه و خلقه .

لكن هذه إضافة إلى الهيته، وهي تقتضي محبته لها و تكريمه و تشريفه -
 بخلاف الاضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه و إيجاده . فالإضافة العامة

تقتضى الابداء، والخاصة تقتضى الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار ما خلقه . (٨)

اختصاص روح آدم :

وإضافة روح آدم إليه من هذه الاضافة الخاصة، لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات . فاختص خلق آدم من خلق غيره، فإنه لم يخلق كخلق المسيح من أم، ولا كخلق سائر النوع من أب و أم . ولا كان الروح الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذى ينفخ الروح فى سائر أولاده . ولو كان كذلك لم يكن لآدم به إختصاص . وإنما ذكر فى الحديث الصحيح - حديث الشفاعة - ما اختص به على غيره، وهو أربعة أشياء : خلق الله له بيده . نفخه فيه من روحه، و اسجد ملائكته له . و تعليمه أسماء كل شئى .

فنفخه سبحانه فى آدم من روحه يستلزم نافخا، و نفخا، و منفوخا منه . فالمنفوخ منه هو الروح المضافة إلى الله، فمنها سرت النفخة فى طينة آدم . فالروح التى نفخ منها فى آدم روح مخلوقة غير قديمة، وهى مادة روح آدم فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة (٩)

كيف نفخ الله فى طينه آدم

أما قوله فى الحديث عن الملك، ثم ينفخ فيه الروح، فإسناد النفخ للملك أنه يفعله بأمر الله . ولا نعلم كيفية نفخ الملك فى الجنين، و النفخ عندنا هو اخراج روح من جوف النافخ ليدخل فى المنفوخ فيه . والمراد بإسناده إلى الله تعالى فى قوله: "ثم سواه و نفخ فيه من روحه"، (١٠) أن يقول له : كن، فيكون، كما قال: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (١١) .

وأما كون النفخة في آدم بمباشرة منه سبحانه كما هو ظاهر قوله تعالى ،، ونفخ فيه من روحه،،— و كما خلقه بيده، أو انها حصلت بأمره كما حصلت في مريم عليها السلام . فهذا يحتاج إلى دليل . فيقال أن الخلق فعل من أفعال الرب، و اما النفخ فهل هو من أفعاله القائمة به، أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه ؟ فهذا سما يحتاج إلى دليل .

نفخ جبريل في فرج مريم:

فنفخه في آدم هو بخلاف النفخ في فرج مريم . فانه مفعول من مفعولاته وأضافه اليه لأنه باذنه و أمره . قال تعالى : ،،التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا،،(١٢) و قال في موضع آخر ،،فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً،،(١٣) فأخبر أنه أرسل إليها روحه، والمراد به الملك جبريل، سماه روحاً و وأضافه إلى نفسه لأنه روح خاص من بين سائر الأرواح(١٤) .

وأما نفخه تعالى في آدم هل هو فعل له أو مفعول فهذا يحتاج إلى دليل و على كل حال فهو داخل في قوله تعالى ”خلقته من تراب ثم قال له كن فيكون“ .

إضافه سائر الخلق اليه تعالى:

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم و بنيه و عيسى، و من سواه من بني آدم، كلها مخلوقة لله، خلقها و أنشأها و كونها و اخترعها . ثم أضافها إلى نفسه، كما أضاف اليه سائر خلقه فقال : ”و سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه“، (١٥).

عجائب روح الانسان :

فالآن وقد تحقق أن الروح مخلوقة من مخلوقات الله فحدث عن عجائبها ولا حرج . فان هذه الروح الحادثة من نفخة الملك الموكل المأسور من الله —

وإن لم تكن نفخة من روح الله — كائنة علوية سماوية ملكية في صفاتها و طبيعتها و استعداداتها . فلها شأن وللجسم شأن . فالروح جوهر علوى مخلوق من مادة علوية وقد اضطرت إلى مساكنة هذا البدن الكثيف الذى خلق من مادة أرضية . فهذه مادة سماوية و هذه مادة أرضية .

فمن الناس من تغلب عليه المادة السماوية . فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة . و منهم من تغلب عليه المادة الأرضية، فتصير روحه سفلية ترايبة سهينة تناسب الأرواح السفلية .

بدن المؤمن فى الدنيا و روحه فى الملائكة الأعلى :

فالروح فى هذا الجسد بدار غربة، ولها وطن غيره . فلاتستقر إلا فى وطنها فى المحل الأعلى، أو فى الملائكة الأعلى، فهى دائماً تطلب و طنها فى المحل الأعلى، و تحن إليه حنين الطير إلى أوكارها . و كل روح ففيها ذلك، و لكن لفرط اشتغالها بالبدن و بالمحسوسات المألوفة أخذت إلى الأرض، و نسيت محلها و وطنها الذى لا راحة لها فى غيره . فإنه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه، والدنيا سجنه حقا . فلهذا تجد المؤمن بدنه فى الدنيا و روحه فى المحل الأعلى .

و هذا كما قال على بن أبى طالب — رضى الله عنه — عند وصفه لأهل العلم و الايمان : ” أولئك الاقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلنا ما استوعر منه المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون . صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملائكة الأعلى . الخ،، .
حاله صلى الله عليه وسلم مع ربه :

ولاتبادر الى انكار كون البدن فى الدنيا و الروح فى الملائكة الأعلى . فللروح شأن و للبدن شأن . والنبي صلى الله عليه وسلم كان بين أظهر أصحابه وهو عند

ربه يطعمه و يسقيه . فبدنه بينهم و روحه و قلبه عند ربه، كيف لا و كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله في جميع أحواله .

حال المؤمنين عند ذكرا لله :

و كذلك حال المؤمنين كلهم مع ربهم، الذين هم أشد حبا لله و يذكرون الله ذكرا كثيرا . و قضى الله تعالى أن المرأ مع من أحب . و لهذا ثبت في الحديث الصحيح : ”أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد، . و هذا هو الفرق بين المؤمن و الكافر، بل بين الذاكر و الغافل . وهو كما قال بعض السلف: ”القلوب جوالاة : فقلب حول الحشش – أى الكنيف – و قلب يطوف مع الملائكة حول العرش،“ .

و قال تعالى (ولذكر الله أكبر)(١٦) و اعظم ذكر الله و أجمعه في الصلوات، و الصلوة معراج المؤمنين التي تصعد أرواحهم فيها إلى الله و هى محل الدنو و القربة منه، ولا سيما في السجود، قال تعالى : ”واسجد و اقترب،“ (١٧) . حتى إذا تجردت روح المؤمن من بدنه بالنوم أذن لها بالسجود تحت العرش إذا كان طاهرا، فاذا تجردت كائلا عند الموت صعدت بها الملائكة من السماء إلى السماء حتى تبلغها إلى الرب تعالى أمام عرشه، فيستقبلها بكل حفاوة و تكريم .

المؤمن سبي من الجنة :

و العبد المؤمن في هذه الدار سبي من الجنة حيث كان في صلب أيه آدم – فأنزل منها إلى دارالتعب و العناء . ثم ضرب عليه الرق فيها . فكيف يلام على حينه إلى داره التي سبي منها و فرق بينه و بين من يحب، و جمع بينه و بين عدوه ؟ فروحه دائما معلقة بذلك الوطن و بدنه في الدنيا .

و كلما أراد منه العدو نسيان وطنه، و ضرب الذكر عنه صفحا، و إيلافه

وطنا غيره أبت ذلك روحه و قلبه . كما قيل :

يراد من القلب نسيانكم و تأبى الطباع على الناقل

غربة المؤمن في هذه الدار :

و لهذا كان المؤمن غريبا في هذه الدار. أين حل منها فهو في دار غربة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ”كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل“، (١٨) و لكنها غربة تنقضى و يصير إلى وطنه و منزله .

و إنما الغربة التي لا يرجى انقطاعها فهي غربة في دار الهوان، و سفارقة وطنه الذي كان قد هيء له، و أمر بالتجهيز إليه و القدوم عليه، فأبى الا اغترابه عنه، و مفارقتة له . فتلك غربة لا يرجى إيابها ولا يجبر مصابها .

عذاب الروح المشغولة بملاذ البدن :

و أعظم عذاب الروح انغماسها و تدسيسها في أعماق البدن، واشتغالها بملاذها، و انقطاعها عن ملاحظة ما خلقت له، و عن وطنها و محلها و محل أنسها و منزل كرامتها. ولكن سكر الشهوات يحجبها عن مطالعة هذا الألم و العذاب، فإذا صحت من سكرها، وأفافت من غمرتها — و ذلك بالموت — أقبلت عليها جيوش الحسرات من كل جانب . فحينئذ تنقطع حسرات على ما فاتها من كرامة الله و قربها، والأنس به، والوصول إلى وطنها الذي لا راحة لها إلا فيه، فقالت حينئذ: وريا حسرتى على ما فرطت في جنب الله و إن كنت لمن السخرين“ (١٩) .

قدرته تعالى العظيمة على كل روح على الدوام :

فهذا بيان بعض عجائب روح الانسان المخلوقة المربوبة . و أسارب الارواح و خالقها و مدبرها فقد كشف لنا تصرفه الهائل في أرواح بنى آدم، و قياسه على

كل نفس منها، في كل حين من حياتهم و سماتهم، و صحوهم ونومهم . فقال - عز من قائل :، والله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الأخرى الى أجل مسمى، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون،، (٢٠)

فالله سبحانه هو الحى القيوم وحده، الذى لا يموت . بل هو الذى يحيى الخلائق و يميتهم، وهو على كل شىء قدير . فالخلائق كلهم أماسه كالموتى، وهو المتصرف فى أرواحهم فى كل آن . فهو الذى يتوفى الأُنفس- وهى الأرواح - من أجساد بنى آدم الكفار منهم والمؤمنين عند الموت، و عند منامهم كل ليلة حتى الموت . و كما يقبض أرواحهم فكذلك يرسلها بعد منامهم فى كل يقظة . والأرواح كما بيده و قبضته و تصرفه سبحانه و تعالى، فكل يوم نحن نموت و نحى بأذنه و قدرته .

فى ذلك تذكرة حية لموتنا المحتم، ثم لبعثنا و نشورنا يوم القيامة . لكننا لالفنا لهذا الحادث المتكرر فى كل أربع و عشرين ساعة من حياتنا لا نلقى له بالا ولا نتعظ به و نعتبر . و سواء غفلنا عن ذلك أو تذكرناه فهو أهون على الله كما هان عليه خلق الأرواح فى كل آن و لحظة . حتى ان خلق جميع الناس و حشرهم أصبح عنده كخلق نفس واحدة و حشرها، كما قال: "ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة"، (٢١)

و لهذا ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من نومه يقول : "الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا و اليه النشور"، (٢٢) و معناه أنه سبحانه يحيى جميع الأحياء على الأرض بعد اماتتهم جميعا فى آن واحد سواء فيهم المؤمن و الكافر، كل يوم و ليلة من أيامهم فى هذه الأرض . كما أن فيه أن نشورهم يوم القيامة سيكون كذلك . فهل تذكير أعظم من هذا الذكر ؟

و كان يقول كذلك عند الايتباه، ذاكر اجسده صلى الله عليه وسلم و روحه و غرض خلقه، ”الحمد لله الذى غافنى فى جسدى، و رد على روحي، و اذن لى بذكره“ . ففى هذا الدعاء حمده تعالى و شكره على ما انعم علينا من عافية تامة فى الجسد و إعادة حياتنا بعد قبض روحنا، والغرض الذى خلقنا لاجله، وهو ذكره تعالى و عبادته، كما قال فى كتابه: ،،وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون“،(٢٣) .

و من عظيم معرفته صلى الله عليه وسلم بربه أنه كان اذا بالغ فى القسم يقول ”و الذى نفسى بيده“، : يعرف صلى الله عليه وسلم أن روحه ملك لله، وهو القاهر الحاكم عليها، و أنه ليس له إلا العدم و الفقر الكاسل، و أنه دائما محتاج إلى ربه الغنى الحميد .

فهذه نبذة يسيرة فى التعريف بروح الانسان و عجائبها المدهشة، و دلالتها على خالقها و بارئها و محييها و مميتها، و وقوع يوم معادها مع الخلائق كلهم للجزاء والحساب، والله هو العليم الخبير.-.

المراجع

- ١ - سورة التين : ٤
- ٢ - صحيح البخارى، اول حديث من كتاب القدر
- ٣ - سورة المؤمنون : ١٣ - ١٥
- ٤ - انظر تحت ظلال القرآن، لىسد قطب، فى تفسير سورة الانفطار الآيه : ٦ - ٧
- ٥ - سورة الحجر : ٢٨ - ٢٩
- ٦ - تحت ظلال القرآن لىسد قطب فى تفسير سورة الحجر الآيه : ٢٨ - ٢٩
- ٧ - نفس المصدر فى تفسير سورة ص : ٧١
- ٨ - كتاب الروح لابن قيم الجوزية طبع حيدرآباد الدكن ص : ٢٤٦ - ٢٤٧
- بتتـــــرف يسيـــــر
- ٩ - نفس المصدر : ٢٤٨ - ٢٤٩ -

- ١٠ - سورة السجدة : ٩ -
- ١١ - سورة آل عمران : ٥٩ -
- ١٢ - سورة تحریم : ١٢
- ١٣ - سورة مريم : ١٧ -
- ١٤ - كتاب الروح لابن قيم الجوزية : ٢٤٩ -
- ١٥ - سورة الجاثية : ١٣ -
- ١٦ - سورة العنكبوت : ٤٥ -
- ١٧ - سورة العلق : ١٩
- ١٨ - صحيح البخارى ، كتاب الرقاق . باب كن فى الدنيا كأنك غريب
- ١٩ - سورة الزمر : ٥٦ -
- ٢٠ - سورة الزمر : ٤٢ -
- ٢١ - سورة لقمان : ٢٨ -
- ٢٢ - صحيح البخارى ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول اذا نام .
- ٢٣ - سورة الطور : ٥٦ -

